هجرة اليهود من ليبيا كما وردت في الوثائق (٣ من ٣)

تقارير الشرطة اكدت وجود اتصالات شجعت اليهود على الشغب

محمد بن غلبون *

□ نشرنا في حلقة امس تقرير القنصل حول الاضطرابات التي جرت في طرابلس الغرب بسبب مشادة حصلت في احد الشوارع. وننشر في الحلقة الثالثة والاخيرة تقرير الشرطة حول الحوادث.

■ ملحق لتقرير الشرطة عن اضطرابات ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ أعده الكولونيل: أ. سوندرز، المدير العام للشرطة. الشؤون اليهودية.

أولا:

١) في لقاء عقد بين اللجان العربية واليهودية في الرابع عشر من حزيران، اعلنت الاخيرة عن عدم ثقتها برجال الشرطة العرب بزعم انهم وقفوا مكتوفي الايدي حينما قامت الغوغاء بأعمال السرقة والقتل والحريق.

٢) في يوم الخامس عشر من حزيران تم تقديم شكوى مكتوبة الى رئيس الادارة (البريطانية) واخرى شفهية الى القيادة العليا للشؤون المدنية، ومدير شرطة طرابلس، والى الكابتن ستانلي وضابطي دائرة الاعلام السادة برمر وغاردنر، والى ضباط مراكز شرطة السوق والغربية، ادعوا من خلالها ان الشرطة العربية فشلت في تأدية واجباتها في يومي ١٢ و١٣ حزيران.

ثانيا:

١) ان تقرير الشرطة الرسمي الذي كتب اعتمادا على الحقائق سيفند تلك المزاعم المغرضة.

٢) ادخل الى المستشفى اربعة قتلى واثنا عشر جريحا من العرب متأثرين برصاصات اطلقت عليهم. وأثبتت التحقيقات ان قوات الجيش اطلقت النار على عربي واحد في اليوم الثالث عشر من حزيران وعربيين آخرين في اليوم الرابع عشر لاخرقهم نظام حظر التجول. كما قتلت الشرطة البريطانية عربيا واحدا وجرحت اثنين آخرين. وعليه فان رجال الشرطة المسلمين اطلقوا الرصاص على عشرة اشخاص عرب. ان هذه الحقائق بحد ذاتها تحض بعض هذه الادعاءات.

٣) ان فاعلية رجال الشرطة المسلمين في تفريق المتظاهرين والمشاغبين ادت الى حد كبير الى الحد من حجم الخسائر وحوادث الحريق والسرقة. كما قاموا بالقاء القبض على ٥٨ عربيا.

٤) وفي فترة من الفترات كان هناك ٢٥٠ لاجئاً يهودياً في مركز شرطة السوق، وآخرون في المركز الغربي تحت رعاية رجال الشرطة المسلمين، الذين اعادوهم لاحقاً الى اماكنهم في سيارات تابعة للشرطة او رافقوهم سيرا على الاقدام.

٥) تمكن رجال الشرطة المسلمين من انقاذ احد عشر شخصا ينتمون الى عائلتين يهوديتين من النيران التي التهمت الطابق الثاني من بناية كانوا فيها.

٦) اقر كل من رجال قوات جلالة الملكة، وضباط الشرطة والمدنيين البريطانيين بفاعلية رجال الشرطة المسلمين في مساعدتهم لليهود الذين قرروا مغادرة المدينة القديمة ونقل ممتلكاتهم معهم.

٧) انا شخصيا شهدت من خلال تقرير الشرطة الذي حررته بالعناية التي ابداها رجال الشرطة المسلمين اتجاه الجرحى اليهود ونقلهم للنساء اليهوديات الخائفات مع اطفالهن الى اماكن آمنة.

٨) ان كل ممتلكات اليهود المسروقة التي صودرت من السارقين كانت نتيجة لجهود رجال الشرطة المسلمين.

٩) أثار دفن عشرة من الضحايا اليهود في الساعات الاولى من صباح اليوم الثالث عشر بحضور ممثلين عن الطائفة اليهودية ورفقة مفرزة من رجال الشرطة تحت امرة ضابطين بريطانيين، موجة من الجحود والتذمر من قبل رئيس الطائفة ثم كبير الحاخامات لاحقاً. كان من الضروري عدم تأجيل مراسم الدفن، فقد طلب كبير الحاخامات مسبقا من الـ P.M.O الاسراع بعملية الدفن، كما ان كل ذلك كان لا بد ان يتم في اثناء ساعات حظر التجول. أُخبر اقارب الموتى بذلك، وحضر المراسم احد الحاخامات. وعندما اعرب رئيس الطائفة عن امله بأن تتم المراسم في الساعة العاشرة من صباح اليوم الرابع عشر، وأبلغ بأنها قد تمت بالفعل في وقت سابق، اجاب بأن هذا العمل شيء مشين وانه «تدنيس للمقدسات». وصرح كبير الحاخامات لاحقاً برأي مماثل لرأي رئيس الطائفة.

ثالثا:

وفقا لتعليمات مدير الادارة (البريطانية)، ألحق السيد برمر بمكتب لجنة الطائفة اليهودية من ١٦ حتى ٢٠ حزيران، لغرض الاستماع الى الشكاوى التي سبق وان تقدم بها رئيس الطائفة وكبير الحاخامات وعدد من اعضاء اللجنة الاخرين الى مركز القيادة، والادارة البريطانية، والقيادة العليا للشؤون المدنية وضباط شرطة الولاية، والتحقيق في هذه الشكاوى.

رابعاً:

ان موجة الاستغاثة، واعطاء المعلومات غير الصحيحة، وبث اشاعات تجدد اعمال الشغب، وما يشابه ذلك، هي جزء لا يتجزأ من الاضطرابات العنصرية. واننا نتعاطف مع الاقليات التي تستهدفها الاضطرابات. لكن المحاولات المنظمة التي تعمل على تشويه سمعة قوات الامن – وهي اشاعات لا أساس لها – الى محاولات اخرى تعتمد على معلومات يُعلم بأنها خاطئة على امل دفع الادارة (البريطانية) لتقديم حماية اكثر لبعض الشخصيات، ولدعم الادعاءات ان الشرطة اهملت واجباتها اتجاه الطائفة اليهودية، كلها يجب ان تقابل بعدم التشجيع وبكل وسيلة ممكنة.

انني على ثقة ان المئات من اليهود – ومعظمهم من النساء والاطفال من الطبقات الفقيرة – الذين التجأوا الى قوات الشرطة، وتمتعوا بحمايتهم ومن ثم أُخذوا الى اماكن آمنة وبقوا فيها يومي الثالث عشر والرابع عشر من حزيران، سوف لن يشتكوا من تصرفات رجال الشرطة المسلمين تجاههم. وبالتأكيد فانهم لم يظهروا أي تخوف من كونهم تحت حمايتهم.

انه لمن المؤسف حقا ان يتبع رؤساء الطائفة الاسلوب الذي اتبعه يهود فلسطين خلال الثلاثين سنة الماضية بوضع العراقيل في وجه المسؤولين عن الأمن. ولو كان هناك شخص واحد في اللجنة يتحلى بقوة الارادة والعدل والرزانة في الامور لبث شعور الثقة بين افراد الطائفة، ولخفف من عبء رجال الأمن الذين حاولوا السيطرة على الوضع. لكن مساعيهم كانت تتعرض باستمرار للتثبيط من قبل رؤساء الطائفة اليهودية.

ملاحظات شخصية على فعاليات الشرطة، أعدها الكولونيل. أ.سوندرز، المدير العام للشرطة في طرابلس بتاريخ ١٩حزيران ١٩٤٨.

...اعطيتُ الاوامر للميجور ديبين لجلب مفرزة من الشرطة تحت قيادة المفتش الزنتوتي والدخول الى شقة في الطابق الاول في بناية في فيّا ليوباردي كان يجري اقتحامها. وعندما دخل رجال المفرزة المسلحون بالعصي وجدوا ٨ او ٩ اشخاص من حثالات المجتمع وقد انقضوا بالهراوات على رجل وامرأة عجوزين بينما انشغل الاخرون بسرقة ما في الغرف الاخرى. كما كان هناك عدد من الشباب والاطفال في الغرف الخلفية. قلما رأيت افراداً من الشرطة المسلمين يهاجمون اخوانهم المسلمين بتلك الضراوة والغضب من اجل الدفاع عن اليهود. بعد ان اخرجوهم من الشقة ضربا بالعصي القوا بهم على ثلاث دفعات من اعلى السلالم ليلتقطهم افراد المفرزة الاخرون الذين كانوا في انتظارهم في الخارج.

في تلك الحين وصل رئيس شرطة P.T.S ليشرف على عملية نقل جثث الموتى الى مركز شرطة السوق اذ قمت مع الميجور ديبين بتشخيصهم بينما قام رئيس شرطة P.T.S بتسجيل الملاحظات.

أعجبت كثيراً أيضا بالطريقة التي عامل بها رجال الشرطة المسلمون الجرحى والمصابين من اليهود. وعندما اكتظت المنطقة المحيطة بهذه البناية في فيّا ليوباردي بكثير من العوائل اليهودية الذين تركوا شققهم بحثا عن مكان آمن. قام رجال الشرطة هؤلاء بنقلهم الى مركز شرطة السوق في سيارات الشرطة او بمرافقتهم سيرا على الاقدام.

كان المفتش الزنتوتي خير مثال لرجال الشرطة، وانني لا اعتقد ان تصرفات الشرطة تجاه الجرحى والمذعورين كانت كلها بسبب وجود قائد الشرطة البريطاني والضباط البريطانيين الاخرين. وكانت هذه الجماهير تتألف بصورة شبه كاملة من حثالة القوم الذين هم على استعداد لقتل اخوانهم المسلمين من اجل سرقتهم بالشراسة التي اظهروها تجاه اليهود.

رئيس شرطة طرابلس ورئيس شرطة P.T.S وغيرهما من الضباط البريطانيين – ومعظمهم ممن لهم خبرة سابقة في فلسطين – شهدوا على إنصاف رجال الشرطة وانهم ادوا مهماتهم بكل شجاعة وحكمة وبلا تحيز.

ووجدت طوال تلك الفترة رجال الشرطة المسلمين على غاية من التأهب والاستعداد والمقدرة على تحمل مسؤولياتهم واداء واجباتهم. وانني لا اتردد في القول أن مثل هذا الانضباط والتأهب الذي اظهره رجال الشرطة انما يعود الى المُثُل التي تحلى بها «الميجور لي» والانطباع الذي تركه عليهم في قيادته للقوة واشعارهم بالعمل كمجموعة، وهكذا بنى لهم الاسس الجيدة للعمل كرجال للشرطة. ان رجال الشرطة الليبيين تعلموا ان يضعوا الثقة بضباطهم وايقنوا بأنهم تحت قيادة جيدة.

وما يجدر الانتباه له هو انه لم يتغيب اي فرد من افراد الشرطة لسبب طبي وانهم وطلبة مدرسة تدريب الشرطة الذين تمت الاستعانة بهم، كانوا في وضع استعدادي ما بين الثاني عشر والسادس عشر من يونيو، ولم يأخذوا أوقات استراحاتهم الا متى سمحت لهم الظروف بذلك. ولم تظهر منهم اي شكوى بل قاموا بواجباتهم ليلا ونهارا مغتسلين ومحلقين ذقونهم.

ان ضباط الشرطة البريطانيين في مدينة طرابلس هم بحق جماعة على غير المعتاد وان رجال الشرطة يستحقون الثناء من قبل الشعب الذين هم في خدمته.

●●●

نختتم استعراضنا لوضع يهود ليبيا في الاربعينيات، والاحداث المأساوية التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البلاد بأهم تقرير عن الموضوع. وحذفت منه بعض الفقرات التي تعيد سرد الاحداث لتجنب التكرار غير المفيد

وسنعود مرة اخرى لتقديم ما يمكن من الوثائق الرسمية التي توضح حال اليهود في عهد الاستقلال وفي ظل المملكة الليبية.

مقتطفات من الجزء الاول من تقرير القائد الاعلى للادارة العسكرية البريطانية في طرابلس.

البريغادير ت.ار. بليكلي المؤرخ في ٢٣ حزيران ١٩٤٨.

١) منذ الاضطرابات التي قامت ضد اليهود في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ بقيت العلاقات بين اليهود والعرب منسجمة، ولم تقع اي حادثة تذكر سواءً كانت سياسية او ذات طابع تخريبي. وأخذت الافكار الصهيونية تزداد تدريجيا بين الشبيبة اليهودية، وما ساعد على ذلك هو تعيين الحاخام بيلوز من فلسطين كرئيس للحاخامات في عام ١٩٤٧، وهو من مواليد الجزائر ويحمل الجنسية الفلسطينية.

ولم تحدث الزيارة التي قام بها اعضاء هيئة الدول العظمى الاربعة اي رد فعل سلبي، وتم تأكيد التضامن من خلال حفلة الشاي التي اقامها رؤساء الطائفة اليهودية لهيئة التحرير العربية التي يرأسها بشير بك السعداوي.

٢) ...لاحظنا ازدياد نشاطات هيئة الدفاع عن فلسطين في طرابلس اذ انشغلت بارسال المتطوعين (العرب القادمين من المستعمرات الفرنسية) والليبيين شرقا (الى فلسطين)، وفي الوقت نفسه بدأ العديد من الشباب الصهيوني بالمغادرة الى ايطاليا كمرحلة اولى لهجرتهم الى اسرائيل. وقام رجال القوات المسلحة والامن بمراقبة التطورات بصورة مشددة ما ادى الى حصر اي اصطدام الى ساحات القتال البعيدة. في اليوم السابع من حزيران اعلنت مصر عن عدم قبولها لمزيد من المتطوعين القادمين من المغرب العربي.

وبتاريخ ١٢ حزيران كان في المدينة القديمة ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ متطوع تونسي يأملون بالاستمرار في رحلتهم (الى فلسطين) ولا يتطلعون الى العودة الى المناطق الخاضعة للحكم الفرنسي التي كانوا تسللوا منها سراً. وبينما المتطوعون يجوبون الشوارع بلا هدف، فان شعوراً عاما بالعداء للصهيونية يظهر بوضوح في المدينة القديمة. وكان وجود هؤلاء في المدينة يذكر باستمرار بالاحداث التي تجري في مكان آخر، اضافة الى ما كانت تذيعه راديوات المقاهي ودكاكين الشاي بأعلى الاصوات. وفي الوقت نفسه ازدادت الاعمال الاستفزازية التي كانت تقوم بها الشبيبة اليهودية بعد ان اصبحت متشبعة بالافكار الصهيونية.

ان الاسباب الرئيسية التي ادت الى حدوث الاضطرابات هي توتر العلاقات بين المسلمين واليهود في مختلف انحاء العالم اضافة الى تأزم الوضع الاقتصادي المحلي الذي جلب لمدينة طرابلس اعدادا كبيرة من العاطلين الذين يبحثون عن عمل. فمن بين الـ ٧٧ شخصاً الذين القي القبض عليهم لاشتراكهم في اعمال الشغب كان هناك تسعة اشخاص فقط من اهالي المدينة.

٣) ...لقد اندلعت الاضطرابات بصورة ارتجالية، وليس لدينا من الدلائل ما يشير الى أنه تم التخطيط لها مسبقا.

٤) لكن لا يمكننا القول ان هذا ما حدث بالنسبة لوسائل الدفاع التي اتخذها اليهود. فهناك عدد من الدلائل التي تشير الى وجود تحضيرات مسبقة كحوادث رمي القنابل اليدوية من سطوح المنازل، واطلاق الرصاص بين الحين والآخر. الى ذلك ظهرت بعض الكتابات العبرية على الجدران تقول: «لا بأس ان يموت الانسان في سبيل وطنه». وهذه الدلائل تشير الى وجود منظمة للدفاع، وان وظائفها لا تقتصر فقط على الدفاع، ففي عدة حوادث اشتبكت جماعات من الشبيبة اليهودية مع الشرطة من اجل الخروج من المدينة القديمة ومهاجمة السكان العرب. وعندما عادت الاوضاع الى حالتها الاعتيادية وبدأ التجار اليهود بفتح متاجرهم في المدينة الجديدة قامت اعداد من العصابات اليهودية الصغيرة بتهديدهم واجبارهم على غلق تلك المتاجر. وذكر القنصل الفرنسي ان روح العربدة تسود بين اليهود الذين يتمتعون بالحماية الفرنسية، كما لاحظ عدد من ضباط الادارة ممن حضروا حوادث عام ١٩٤٥ ان المعنويات اقوى مما كانت عليه في ١٩٤٥.

٥) ...ان اليهود وحدهم هم الذين انتقدوا اعمال الشرطة واتهموها بالفشل في اداء واجباتها. وتم التحقيق في كل الشكاوى التي قدمها اليهود ووجدناها خالية من الصحة.

٨) ان سلطة اعيان الليبيين من العرب واليهود اثبتت عدم قدرتها في مواجهة حماس الجماهير وعنفها.

وفي يوم الاثنين تم عقد اجتماع في بيت احد الوجهاء العرب بين اعيان الطرفين اصدروا في ختامه بياناً مشتركاً يشجب الاضطرابات ويدعوا الى السلام. ووُزع البيان على رجال الصحافة. وقام ضباط من «الادارة العسكرية البريطانية» بتنظيم هذا الاجتماع ولولا حضورهم لما تم اصدار البيان المشترك اذ انحصر اهتمام زعماء الفريقين بتبادل الاتهامات القاسية عن احداث سابقة اكثر من اهتمامهم بالتعاون في الوقت الحاضر او المستقبل.

٩) ان مشكلة العرب واليهود في الشرق الاوسط تعود جذورها الى تاريخ عميق، وستبقى على حدتها حتى يتم التوصل الى حل وسط لمشكلة فلسطين يرضي الفريقين. ان احسن ما نروم اليه هو ايجاد قوات امن واعية وكفؤة مؤلفة من رجال من الشرطة المدنيين تدعمها قوات عسكرية في سبيل الحفاظ على السلطات المدنية بالاضافة الى وجود جهاز مخابرات نشط وكفؤ. ان توقعاتنا ضئيلة او بالاحرى معدومة بالنسبة للمساعدات التي يمكن ان يقدمها اعيان المجتمع في السيطرة على العناصر المتمردة بينهم والذين سوف ينتهزون اي فرصة للقيام بأعمال الشغب والتخريب. ومن سوء الحظ فان اليهود ليست لديهم اي ثقة برجال الشرطة العسكرية البريطانية. والحل الوحيد لهذه المشكلة هو تأليف قوة هجوم حيادية كالتي تم الموافقة على تأسيسها نظريا بعد احداث عام ١٩٤٥.

حفل استقبال ضم اعيان يهود طرابلس وشخصيات ليبية، ١٩٤٨ .

* رئيس الاتحاد الدستوري الليبي المعارض.

مراجع البحث

١ – الهجرة من ليبيا. تأليف ماكس فارادي
L'esodo dalla Libia. By: Max Varadi

٢ – يهود ليبيا: بين ادريس والقذافي ١٩٤٨ – ١٩٧٠. تأليف ليللو اربيب
Gli Ebrei in Libia Fra Idris E Gheddafi, 1948-1970.
By: Lillo Arbib

٣ – يهود في أرض عربية. تأليف رينزو دي فيليشي
Ebrei in un Paese Arabo.
By: Renzo De Felice

في ذكرى رحيل قائد ثورة يوليو

للناصرية وجوه متعددة

وليد عبدالناصر *

■ حظيت وتحظى ثورة ٢٣ يوليو (تموز) المصرية باهتمام خاص عند حلول موعد ذكراها كل عام، كذلك تحظى ذكرى رحيل قائدها جمال عبدالناصر في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠.

ارتبطت ثورة ٢٣ يوليو في أذهان العرب بـ «الناصرية» كوصف اطلق على مجمل التجربة في الحكم منذ عام ١٩٥٢ حتى رحيل عبدالناصر. وعلى رغم أنه لم يبدُ كشخصية قائد الثورة عند قيامها، إلا أنه صار الشخصية المركزية في قيادتها بعد اقصاء اللواء محمد نجيب عام ١٩٥٤، ثم عقب انتخاب عبدالناصر رئيساً للجمهورية عام ١٩٥٦. وفي حال نظرنا في واقع الناصرية في الوطن العربي اليوم، على المستويين الفكري والحركي، نرى بوضوح انها تعاني من تباينات، بل تقول انقسامات، ليس فقط بين الأقطار العربية، بل داخل القطر العربي الواحد، إذ تتعدد الاتجاهات الفكرية والتنظيمات السياسية للناصريين.

ويرجع هذا التعدد إلى عدة عوامل يأتي في المقدمة منها طبيعة «الناصرية». فبخلاف نظريات سياسية أخرى بدأت ونمت واكتملت معالمها على مر العقود، فإن ما يطلق عليه «الناصرية» نشأت كتجربة في الحكم تتبنى أهدافاً عامة ذات منحى وطني ثم، في فترة لاحقة، قومي واجتماعي. وخاضت هذه التجربة معترك الممارسة العملية من دون أي نسق فكري متكامل يحدد الخطوط التوجيهية لهذه التجربة، وإنما اعتمدت على معايير الصواب والخطأ. وعبر مسيرة امتدت ١٨ عاماً حتى رحيل عبدالناصر، غيرت «الناصرية» من أفكارها وأشكالها في عدة محطات تاريخية مهمة من مسيرتها. كما أنها تأثرت، أحياناً بوضوح وأحياناً أخرى ضمناً، بنظريات وتجارب أخرى ما بين الفكر القومي العربي والماركسية والاشتراكية الديموقراطية والفكر التعاوني والنظريات الإسلامية المختلفة، وأفكار وممارسات أخرى أثرت كثيراً أو قليلاً على تطورات وخيارات القيادة الناصرية في مراحل متتالية. كما ان هذه التغيرات الفكرية والمؤسساتية ارتبطت أيضاً ليس فقط بالتأثير النظري المجرد لأفكار وتجارب أخرى، بل بمجمل النتائج المحلية والانعكاسات الاقليمية والدولية لسياسات اتبعت خلال سنوات، وما أملته هذه النتائج والانعكاسات من ضرورة مراجعة تلك السياسات وإعادة النظر فيها بغرض تعديلها جزئياً أو استبدالها كلياً بسياسات أخرى.

ونظراً لأن تعبير «الناصرية» جاء في نهاية الأمر كمحصلة لكل هذه التجارب والسياسات والأفكار، كان مفترضاً فيه أن يشملها جميعاً، إلا أن مثل هذا الشمول كان سيفضي في الضرورة إلى عدم الاتساق الداخلي للناصرية. فما فعله ناصريو ما بعد عبدالناصر هو أنهم سعوا لأن يستخلصوا من مسيرة الثورة اطاراً نظرياً يصلح للتصدي لايديولوجيات منافسة ما بين ماركسية وليبرالية وبعثية وغير ذلك. إلا أن هذا المسعى بطبيعته كان يجب أن يتصف بالانتقائية نظراً لما ذكرناه سلفاً من وجود تباين في السياسات ما بين مراحل زمنية متعددة في إطار الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠، بل وأحياناً تباين بين قطاعات مختلف في إطار المرحلة الزمنية نفسها، وبناءً على ذلك نجد في صفوف الناصريين من يركز على المرحلة القومية الاشتراكية الممتدة ما بين قوانين تموز (يوليو) عام ١٩٦١ وهزيمة ١٩٦٧. واعتبر هؤلاء أن هذه المرحلة تمثل نضج الناصرية، بينما فسروا ما سبقها من مراحل كتمهيد لها. كما ركزوا في الفترة اللاحقة، على ذلك، أي ما بين هزيمة حزيران (يونيو) ورحيل عبدالناصر، على ما يتسق مع رأيهم بمحورية مرحلة ١٩٦١ – ١٩٦٧، بينما قللوا من أهمية التطورات التي جرت ولم تتفق مع هذا الرأي. وعمد أصحاب هذا الاتجاه إلى التعظيم من شأن «الميثاق الوطني» الصادر عام ١٩٦٢ على حساب كل من «فلسفة الثورة» التي نشرها الرئيس عبدالناصر عام ١٩٥٥ و«برنامج ٣٠ مارس» الذي أصدره عام ١٩٦٨.

إلا أن هذا الاتجاه ليس الوحيد في صفوف الناصريين، فمنهم من يسلط الأضواء على البعد القومي العربي كمكون أساسي للناصرية ويركز بالتالي على فترة المد القومي العربي منذ عام ١٩٥٥، والتصدي للعدوان الثلاثي وصولاً إلى الوحدة الاندماجية بين مصر وسورية عام ١٩٥٨ والدعم المصري لثورة الجزائر حتى حصولها على الاستقلال عام ١٩٦٢.

وعلى رغم إبراز أصحاب هذا الاتجاه لدعم مصر لثورة اليمن في ١٩٦٢، فإنهم لا يجدون غضاضة في منح المساحة نفسها من الاهتمام للمصالحة المصرية – السعودية التي تمت في إطار قمة الخرطوم عام ١٩٦٧. وهناك من الناصريين أيضاً من يركز على «البعد الديموقراطي» للناصرية، مؤكداً على أن تجارب التنظيم السياسي المتتالية، بل واجراءات التغيير الاجتماعي المتلاحقة، كانت تهدف كلها في المقام الأول إلى الوصول إلى صيغة مؤسسية تحقق «الديموقراطية الحقيقية» وتضمن المشاركة الصعبة الفعلية في اتخاذ القرار. ومن هنا يبرز هؤلاء برنامج ٣٠ مارس باعتباره قمة تطور الفكر السياسي للقيادة الناصرية، بل ان هناك من الناصريين من نظر إلى الناصرية باعتبارها «اجتهاداً» في الإطار الرحب للحضارة الإسلامية، واعتبرها من مراحل دفاع العالم الإسلامي عن استقلاله.

إن الحديث عن التعددية داخل المربع الناصري لا يجب ان ينظر إليها باعتبارها نقيصة في حد ذاتها، فهذه التعددية توجد على المستويين الفكري والتنظيمي في إطار حركات سياسية أخرى سواء داخل الوطن العربي أو خارجه. بل ان هناك بين مؤيدي ثورة يوليو في مصر من يرفض اختزال الثورة وانجازاتها في تسمية «الناصرية» لأنهم يعتبرون أن فترة الثورة وما حققته هو حصيلة جهد ومساهمة كثيرين على رغم اقرارهم بالدور القيادي لعبدالناصر. كما ان هناك من يرفض اعتبار الثورة انتهت في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ويراها ممتدة حتى الآن، أيضا على أساس معيار التجربة والصواب والخطأ. كذلك فإن حدث ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ شكل لحظة اجماع وطني نادر الحدوث في تاريخ أي شعب: فهناك تيارات سياسية وفكرية عدة ومختلفة ساهمت في هذا الحدث بشكل أو بآخر ودعمته وحقنته كل من هذه التيارات ببعض فكرها ومواقفها، كما أن من قاموا بالثورة تأثروا بخلفيات فكرية وسياسية متباينة. وانعكس ذلك كله على مسيرة الثورة، وكان من الطبيعي أيضاً ان ينعكس في شكل تعددية في إطار ما صار يعرف بالناصريين. إلا أن الحقيقة الثابتة هي ان كل المفكرين الناصريين، والحركات الناصرية على امتداد الأرض العربية على ما بينهم من تباينات لم ينجحوا في استثمار الرصيد الضخم للزعيم الراحل لدى الجماهير العربية على رغم تأثر هذا الرصيد سلباً بهزيمة ١٩٦٧ وبتطورات لاحقة على وفاته، أو في ترجمته إلى قاعدة شعبية وقوة دافعة لحركاتهم. ولا شك في ان لذلك أسباباً، قد تكون راجعة إلى تعددية الاتجاهات الناصرية في بعض الحالات، لكنها بالتأكيد ليست السبب الوحيد في أي منها.

* كاتب مصري مقيم في جنيف.